

أغتيل الشيخ الرئيس وبقيت القضية

بقلم الدكتور ايلي طنوس

اغتيال الرئيس الشيخ بشير الجميل لم يكن اغتيالاً لشخص رئيس جمهورية لبنان، بقدر ما كان محاولةً لاغتيال المبادئ التي آمن بها الشيخ الرئيس وفي طليعتها ايمانه العميق بحق اللبنانيين، كل اللبنانيين، بوطن نهائي، ذي استقلال ناجز وسيادة غير منقوصة؛ يعيشون فيه متساوين في الحقوق والواجبات. هذا ما عبر عنه الرئيس الشهيد في كلمة موجهة الى رفاقه ابان انتخابه رئيساً للجمهورية، حثهم فيها على نبذ الأثنية وعدم الاعتداد بالنفس قاتلاً: ليس لكم أكثر مما لسائر مواطنكم في الـ ١٠٤٥٢ كلم ٢ ومن ضمنهم اولئك اللبنانيين اللذين شاعت المؤامرة أن يكونوا في المتراس المقابل. وأردف: الآن سوف تتجولون في أنحاء وطنكم وقد تصادفون نصباً لمقاتل لبناني سقط في المتراس الآخر؛ أوصيكم باحترامه كما لو كان رفيقكم في السلاح لأنكم لو تمعنتم باللوحة القائمة على ذلك النصب لوجدتم العبارة التالية "سقط من اجل لبنان" ونحن ايضاً، ورغم اختلافنا بالرأي، سنعتبره "سقط من اجل لبنان" ولو على طريقته؛ وتابع: لقد آن لنا، نحن اللبنانيين، أن نجتمع ونتصارع ونبني وطناً بحجم تضحيات شهدائنا، يحقق آمال كافة اللبنانيين وتطلعات أجيالهم الشابة؛ أن الآوان لتحل ذهنية الولاء للبنان الدولة مكان ولاء بعض اللبنانيين للدول؛ فلا ولاء، بعد اليوم، للطائفة، للزعيم او العشيرة، مقدم على الولاء للوطن.

لقد عنى الرئيس الشهيد قوله، وهكذا تصرف، بشهامة ونبيل وفروسية. وفي يقين الكثيرين، أنه لو أراد أن يبني مجدداً خاصاً به على حساب بناء الوطن، لكان له ما أراد! ولكان عاش الشخص وماتت القضية!

لقد رفض الشيخ بشير، وفي ذروة تفوقه، الفوقية، شاهداً بذلك على مرؤة نادرة؛ فمد يد التعاون لمواطنيه وأفهم الدول المجاورة أن لا مصلحة لديه تعلق على مصلحة الوطن فاذا أرادوا التعامل مع الدولة اللبنانية فليكن ذلك "من الند للند" في اطار من الاحترام المتبادل لسيادة البلدان واحترام حقوق ومصالح كل شعوب المنطقة في السلام والعيش الكريم.

باغتيال الشيخ بشير، فقد لبنان والمنطقة فارساً مجلياً في الدفاع عن حقوق الانسان لقناعته بأن البشر بطبيعتهم متساوون في الحرية والاستقلال يتمتعون بحقوق مستمدة من طبيعتهم البشرية وهذه حقوق لا يجوز التنازل عنها- خصوصاً مبدأ السيادة الوطنية- مهما كثرت المغريات ومهما تجبر الطغاة.

أغتيل الشيخ بشير وبقيت القضية حية، بذكراه، تفتش عن فرسان جدد يدافعون عن الكرامة المتألمة والحقوق المستباحة.

تورنتو في ١٢/٩/٢٠٠٢